

مكانة المكتبات الشخصية لأعلام الصوفية في دعم البحوث الأنثروبولوجية

**The role of personal libraries of Sufi scholars in supporting
Anthropological research**

د. عبد القادر بن حامد*

جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)

مخبر دراسات في لفكر الإسلامي في الجزائر، جامعة سيدي بلعباس

مخبر الجماليات البصرية في الممارسة الفنية الجزائرية، جامعة مستغانم

abdelkader.benhamed@univ-sba.dz

تاريخ القبول: 2025/04/03

تاريخ الاستلام: 2025/02/17

ملخص:

ترتبط هذه الدراسة بموضوع المكتبات الشخصية لفقهاء وشيوخ الصوفية في الجزائر ومكانتها في دعم البحوث العلمية، فهي تتوفر على المواد العلمية من الكتب والنادرات التي يمكن أن تدعم البحوث الأنثروبولوجية، وهي تعمل أيضا على إتاحة أرصدها لأغراض القراءة والبحث، فنحاول من خلال هذه الورقة البحثية إبراز دور شيوخ وجامعي الكتب في تنمية خزاناتهم لسبيل العلم والمعرفة، حيث يمكن للباحثين استغلال تلك المصنفات من الكتب والمخطوطات. فقد ازدهرت المراكز الصوفية وعرفت إشعاعا علميا بفضل علماءها خاصة منطقة الجنوب الجزائري، الذين أسهموا في تفعيل الحركة العلمية داخل المجتمع، ومن أهم النماذج نذكر مكتبة الشيخ الهامل حيث تحفظ رصيدا هاما من المخطوطات، بالإضافة إلى مجموعة من الوثائق تتضمن المراسلات التي كانت بين شيوخ الصوفية في الجزائر وعلماء من مختلف المناطق في البلاد العربية، أيضا الشيخ علي بن عثمان الطولقي ويعدّ من أشهر شيوخ الصوفية في الجزائر، فيرجع له الفضل في تأسيس ورعاية المكتبة العثمانية التي تزخر بنفائس الكتب والمخطوطات في مختلف ميادين المعرفة. **الكلمات المفتاحية:** المكتبات الشخصية؛ أعلام الصوفية؛ التراث العلمي؛ البحوث الأنثروبولوجية.

Abstract:

This study is related to the topic of the personal libraries of jurists and Sufi Sheikhs in Algeria and their importance in supporting researchers in general. They possess scientific materials such as books and rarities that can support

* المؤلف المرسل: د. عبد القادر بن حامد، الايميل: abdelkader.benhamed@univ-sba.dz

anthropological research, and they also make their collections available for reading and research purposes.

We are trying through this research document to highlight the role of sheikhs and book collectors in the development of their libraries in the service of science and knowledge, where researchers can utilize these collections of books and manuscripts. Sufi centers have prospered and experienced scientific flourishing thanks to their scholars, particularly in the Southern Algerian region, who have contributed to invigorating the scientific movement within the community. Among the most important examples, we mention the library of Sheikh Hamel, which preserves a significant collection of manuscripts, as well as a set of documents containing correspondence between Sufi sheikhs in Algeria and scholars from different regions of the Arab world. There is also Sheikh Ali Ben Othmanie El-Toulki, considered one of the most famous Sufi sheikhs in Algeria, who is credited with the founding and management of the Ottoman Library, which is rich in precious books and manuscripts in various fields of knowledge.

Keywords: Personal libraries; Scholars; Sufism; Documentary heritage; Anthropological research.

مقدمة:

تعدّ مكتبات الأشخاص أو الخاصة دعامة أساسية لارتقاء ثقافة المجتمعات ونشر الوعي والتحصيل العلمي، فهي تمثل إرثا معرفيا يحفظه الإنسان كجزء من ممتلكاته لولوج مجتمع المعرفة، فإن المجتمعات التي ترتقي علميا واجتماعيا واقتصاديا، كانت ولا تزال مرتبطة بالكتب والمكتبات على اختلاف أنواعها بما فيها العمومية والوطنية والمدرسية... الخ، فقد استطاعت المكتبات الخاصة عبر مختلف الحقب الزمنية أن تنشر الأفكار الجديدة من خلال مختلف المجموعات الوثائقية المخطوطة أو المطبوعة، وأدت دورا هاما في الحياة العامة والخاصة وفي دعم البحوث العلمية وتثقيف أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم وكذا دعم التأليف، كما يمكن القول أنها تعمل على تنشئة المجتمعات وتحفظ الإنتاج المعرفي الإنساني، للإفادة به للقراءة وعند الحاجة بغض النظر عن أي اعتبار وبدون مقابل. فقد عرفت الحضارة الإسلامية عصرا حافلا بالمكتبات والخزائن، واهتمت بحرفة الوراقة وثقافة جمع الكتب خاصة في العصور الوسطى، حيث ظهرت المكتبات الإسلامية وازدهرت بشكل عام وتطورت خاصة مع كثرة حركة التأليف والترجمة، كما تميزت بتشجيع الخلفاء والحكام للعلم والعلماء، وأدى ذلك إلى ارتباط المسلمين بتنظيم المكتبات حيث أصبحت تلك الممارسات من خصائص الحضارة العربية الإسلامية، ومن أبرز المكتبات الخاصة في تلك الفترة وجدت مكتبة خالد بن

يزيد الذي يعتبر من السابقين في إنشاء المكتبات الخاصة، ونجد مكتبة علي بن يحيى المنجم والفيلسوف الكندي، والصاحب والجاحظ والموصلي وابن القوطي وغيرهم الجامعين للكتب. اشتهر رجال العلم والدين وأعلام الصوفية بالتأليف وجمع الكتب والمكتبات في مختلف مراكز التصوف عبر التراب الوطني الجزائري، وتعددت خزائنها ومكتباتهم الشخصية التي كانت تحظى باهتمام واسع نظرا لمقتنياتها ومحتوياتها في علوم الدين واللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها، وقد أصبحت هذه الخزائن التي توارثها الشيوخ عن مؤسسيها ومنشئها قبله للباحثين في مختلف الميادين كالتاريخ والأنثروبولوجيا، فاعتبرت وسيلة للبحث العلمي والقراءة، وتنتشر تلك خزانات الشيوخ وفقهاء الصوفية شرقا وغربا بمختلف المناطق الجزائرية، كما ساهمت مؤلفاتهم في إثراء تلك الأرصدة الوثائقية ونذكر منهم الشيخ علي بن عثمان بطولقة بالزاوية الرحمانية، وجدت بها مكتبة احتوت على مؤلفات في علوم الدين والوعظ والإرشاد لشيوخ الصوفية من مخطوطات ومجموعة كبيرة من الكتب القيمة.

لم تتناول الدراسات موضوع مكتبات الأشخاص والفقهاء وجامعي الكتب باعتبارها محطات ومراكز للبحث، إذ يمكن القول أن الموضوع له أهمية تتجلى في لفت انتباه الباحثين وتشجيعهم للولوج إلى عالم البحث في روافد وأرصدة تلك الخزانات، حيث أنها تزخر بالمصادر المرجعية ولها مكانة في توفير ظروف البحث والقراءة، أيضا نحاول تسليط الضوء على مكتبات أهل العلم والدين وفقهاء الصوفية في الجزائر، وإسهاماتهم في نشر الدين والمعرفة كباقي العلماء في الأقطار العربية، فقد جمعوا الكتب لأغراض التعليم وعقد الحلقات واجتهدوا في تنظيم الفهارس، فإن مثل هذه المكتبات كانت وما تزال تمثل مظهرا من مظاهر الرقي وازدهار الحضارة الإنسانية، إذ لقت اهتماما واسعا عبر التاريخ في معظم الدول الإسلامية، وإن تنظيم الكتب في المكتبات الخاصة لاستخدامها عند الحاجة، ساهم بقدر كبير في التثقيف الشخصي وكذا التحصيل العلمي في مختلف المعارف والبحوث، كما قام العديد من الأشخاص بإتاحتها وبثها لمختلف فئات المجتمع عبر قنوات ووسائل متعددة، ومن هذا المنظور نحاول الإجابة على إشكالية رئيسية مفادها: هل يمكن اعتبار المكتبات الشخصية لأعلام الصوفية في الجزائر مصدرا ومنفذا لدعم البحوث الأنثروبولوجية؟

كما يمكن الإجابة على تساؤلات جزئية في هذه الدراسة تمثلت في: ما المقصود بالمكتبات الشخصية؟

كيف نشأت مكتبات شيوخ وأعلام الصوفية، وما هي أهم المصنفات والعلوم التي حفظتها؟

ومن خلال هذه التساؤلات حاولنا ضبط فرضيتين أساسيتين للدراسة، تتمثل فيما يلي:

- شيوخ وأعلام الصوفية لهم اهتمام واسع بجمع وتنظيم الكتب والمكتبات، وبالتالي تفعيل الحياة العلمية والفكرية داخل المجتمع.

- يمكن لمكتبات شيوخ وأعلام الصوفية دعم البحوث الأنثروبولوجية من خلال الإفادة بالكتب المرجعية ونوادير المخطوطات.

وللوصول إلى أهداف البحث نحاول الاعتماد على منهج وصفي تحليلي للوقوف على مختلف المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة، حيث يمكن عرض المفردات وتفسيرها من خلال عناصر الدراسة ومقتضاها، ونظرا لطبيعة الموضوع وارتباطه بشيوخ وأعلام الصوفية في الجزائر، الذين لهم دراية واهتمام بالكتب والمكتبات، فقد شملت الدراسة بعض النماذج من المكتبات الخاصة مثل خزانة الشيخ أحمد بن بوزيد مولى القرقور والمكتبة القاسمية للشيخ الهامل، ومكتبة الشيخ علي بن عثمان أحد أشهر فقهاء أعلام التصوف بمنطقة طولقة.

1. ماهية المكتبات الشخصية ومكانتها:

يقصد بالمكتبات الشخصية تلك المكتبات التي يمتلكها الأفراد أو لفئات من الناس أو النوادي أو مؤسسة أخرى، وهي عكس العامة إذ يستفيد منها الشخص المالك بالدرجة الأولى. وتعرف أيضاً بالمكتبات الخاصة أو الأفراد حيث تنشأ في بيوتهم أو في مكان إقامتهم الخاصة، وتشكل من خلال اقتناءات واهتمامات أصحابها وظروفهم الخاصة، ويركز هذا التعريف على أن المكتبة الشخصية توجد في منزل الشخص وتتضمن موادها في أغلب الأحيان مؤلفات تتعلق بالاهتمامات الشخصية، وتهدف لخدمة أغراضهم الخاصة لأنها تقتصر عليهم ويمكن إفادة المجتمع بعد ترخيص من أصحابها، وتبقى بحوزتهم في مكان إقامتهم أو مكائهم دون نقلها إلى أي جهة رسمية بعد وفاة أصحابها بل إلى الورثة. كما تعرف بأنها المكتبات الخاصة التي تلحق بمؤسسة أو هيئة خاصة، وتطلق كذلك على المكتبة التي تملكها جمعية أو نادي والتي لا يستخدمها غير الأعضاء ولا تمول بأموال عامة حيث يقوم صاحبها بتزويدها بالكتب عن طريق الشراء.

تناولت العديد من المصادر العلمية محتويات ومصنفات المكتبات الخاصة، كما تحدثت عن الأشخاص والمهتمين باقتناء وحفظ هذه المصنفات، خاصة الأدباء والعلماء العرب خلال العصور الوسطى وعصر ازدهار الحضارة الإسلامية بالمكتبات، نظرا لكثرة التدوين وظهور النساخين العرب وعلاقتهم بالكتب، فأدى ذلك إلى ظهور مؤسسات علمية في البلاد العربية خاصة في فترة القرون الهجرية الأولى كبيت الحكمة، التي

كانت من بين ملاحقها مكتبة حظيت بعناية مجموعة من خلفاء بني العباس، ومن هؤلاء المأمون الذي يعد أكثرهم اهتماما بالمكتبات ورعايتها ودعمها بالتزويد وإثراء مصنفاتها، وذلك عن طريق الرحلات التجارية والبعثات إلى بلاد الروم لاقتناء المواد العلمية والفلسفية وأمهات الكتب، فقد عرفت ظاهرة الاهتمام بالوثائق والمصنفات عند كبار العلماء من مختلف المناطق العربية.

2. التراث العلمي المخطوط:

التراث في اللغة العربية يعني الإرث والموروث، ويطلق على كل ما يرثه الإنسان من والديه، كالمال وغيره من الممتلكات، ويطلق مصطلح التراث أيضاً على مجموع ما أنتجته الحضارات، فهو الوسيلة التي أعطت تلك الحضارات طابعها، ويمكننا أن نستنتج عظمة تلك الحضارات من خلال مبانيها القديمة أو أساطيرها التي وصلت إلينا. وأيضاً نتائج تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه سواء كانت في ميادين العلم أو الفكر أو اللغة أو مجالات أخرى، فإن التراث بذلك يمتد ليشمل جميع نواحي الحياة المادية واللامادية للمجتمع من فلسفة ودين وفن، وأيضاً الجانب الفكري المتمثل في النصوص المكتوبة الموروثة التي تحفظ في العديد من المؤسسات مثل المتاحف والمكتبات والخزانات الخاصة.

التراث العلمي الوثائقي المخطوط يشمل الوثائق المخطوطة المتضمنة مؤلفات دينية وتاريخية والأدب والنصوص العلمية وغيرها، المحفوظة في مؤسسات تعليمية أو مكتبات أو خزانات الأشخاص المكتبات والمعلومات وكأشكال الكتاب أو أوراق شخصية مخطوطة، ويقال كتاب مخطوط يعني بالغة الانجليزية (Manuscript Book)، وهذا للتمييز بين الكتاب والوثائق الأخرى. والكتب المخطوطة هي عمل مكتوب بخط اليد لأي نوع من أنواع النصوص الأدبية أو العلمية، سواء على ورق أو أي مادة أخرى ملائمة مثل الجلد أو الألواح الخشبية (الشامي، 1988، صفحة 18). كما يعتبر نوع من الكتب التي كتبت باليد بسبب عدم وجود الطباعة وقت تأليفها، وتدرج الكتب المخطوطة ضمن المصادر الأولية الموثقة التي تحتوي أحداثاً ودراسات لمواضيع مختلفة، يعتمد عليها العديد من الدارسين في البحوث الأدبية أو التاريخية والأنثروبولوجية وغيرها، كلياً أو جزئياً، وإن الأرصدة الوثائقية للمخطوطات التي تحفظ في الجزائر تعتبر جزءاً هاماً من التراث الوثائقي العربي الإسلامي، الذي يحظى باهتمام واسع من طرف المؤسسات والمراكز المتخصصة في هذا الجانب مثل المكتبة الوطنية الجزائرية والمؤسسات الأكاديمية، وأيضاً مؤسسة الزاوية تمثل أهم مراكز لحفظ

التراث العلمي الجزائري، مثل التيجانية وزاوية الهامل والرحمانية وغيرها، حيث أصبحت اليوم تخصص لها متطلبات الحفظ والصيانة والوسائل التكنولوجية.

3. الصوفية والتصوف:

تعددت مفاهيم التصوف واختلف العلماء في ذلك ويمكن أن يتحدد تعريفه الاصطلاحي كما هو عند العديد من المؤلفين على أن التصوف صفاء ومشاهدة، فالصفاء هو الوسيلة والمشاهدة هي الغاية، وللمتصوفة مصطلحات كثيرة حيث أن كل طائفة منهم انفردت عن غيرها بألفاظ خاصة بها، وذلك قصد تسهيل وتقريب الفهم لمنهج طريقهم والكشف عن معانيهم لأنفسهم وسترها عن غيرهم ممن خالفهم (رحماني، 2006، صفحة 125). هناك اتفاق على مفهوم التصوف في أغلب الدراسات التي تناولت الموضوع من جوانبه المختلفة، وفي هذا السياق نبدأ المفهوم بتعريف آخر وهو أن أصل التصوف هو الإخلاص في العبادة والإقبال على الله تعالى... كما كان سائداً عند مجتمعات عديدة في البلاد الإسلامية مع انتشار واسع للطرق الصوفية لتلك الأمم.

أما مصطلح صوفي فجمهرة الصوفية يميلون إلى رد اسمهم إلى الصفاء، لكن أرجح الأقوال لا تجد لذلك وجها ظاهرا في قواعد اللغة فنسبت الصوفية إلى الصوف، وإن المتصوف مأخوذ منه بقول تصوف إذا لبس الصوف، وقد اختار هذا الانشقاق كبار العلماء من الصوفية، وتتميز الحياة بالنوافل والعبادات كالصوم، والتهجد، وقراءة القرآن والذكر... الخ، فالطريقة هي سلم الوصول إلى النجاة والسعادة، مع مجموعة من الشعائر والممارسات والأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى في بعض التفاصيل. (باشا، 1933، صفحة 279).

4. الأنثروبولوجيا ومجالاتها:

علم الأنثروبولوجيا من العلوم القديمة التي درست المجتمعات الأولى وتطورت مع تطور الحضارات، وقد وجدت دراسات عديدة وصفت المجتمعات في العصور القديمة، ومن المعروف أن مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية التي شهدتها الشعوب عبر الحضارات المختلفة والفترات الزمنية المختلفة أسهمت في توسع نطاقها، وقد كشفت الأبحاث والدراسات الغربية عن المجتمعات البشرية الأخرى والأقليات أنها تعتبر مصدراً تاريخياً مهماً لعلم الأنثروبولوجيا، ومن هذا المنطلق تم إرساء القواعد الأساسية للعلم، وخاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث نال العلم اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين والمتخصصين في مجال

الأنثروبولوجيا. علما أن الدراسات الأولى أسست للعلم كما هو متفق عند الكثير من المفكرين أن "هيرودوت" يعتبر أب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حيث قام بوصف المجتمعات وكانت دراسته بمثابة بداية للدراسات الأنثروبولوجية الأخرى عبر التاريخ، كما أن أعماله في علم التاريخ والجغرافيا المقارنة والإثنولوجيا لها أهمية في تأسيس العلم، فاهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة تطور الإنسان وتنوعه البيولوجي والتنوعات الأناتومية والفزيولوجية له والمرفولوجية لمختلف الأنواع العرقية، فالأنثروبولوجيا الفيزيائية هي مجموعة من التخصصات المعرفية التي تتناول أصل الإنسان وتطوره الفيزيائي والبيو-اجتماعي. (Copans, 1971, pp. 18-20)

ظهرت الأنثروبولوجيا في البداية كمفهوم علمي يهتم بالإنسان في بعده الطبيعي البيولوجي، لتمد في النصف الثاني من القرن 19م، إلى البعد الاجتماعي الثقافي وتوسع نطاقها إلى المؤسسات الاجتماعية والمنتجات والقيم والأعراف والمعتقدات والنظم السائدة وأيضا الجانب الديني. ومنذ نشأة الأنثروبولوجيا لم يكن من السهل تحديد تعريف دقيق للأنثروبولوجيا الاجتماعية لتداخل بحوثها مع مختلف التخصصات خاصة الإثنوغرافيا والإثنولوجيا حتى أنه يصعب التمييز بين الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، ففي فرنسا استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية تحت اسم الإثنولوجيا. فقد طرح كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss (1908-2009)، في مقدمة كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية"، والذي تبنى مقاربة تدمج هذه المصطلحات لتجعل كل واحدة منها تناسب مرحلة من مراحل البحث الأنثروبولوجي عامة، فقد قسم المقاربة الأنثروبولوجية إلى ثلاث مراحل: ارتبطت المرحلة الأولى بالإثنوغرافية المرتبطة بالملاحظة المباشرة لوحدة اجتماعية والوقوف عند حدود جمع المعلومات ووصف الظواهر من معتقدات، عادات، مؤسسات أدوات...، أما المرحلة الثانية تتدخل الإثنولوجيا لتقوم بتحليل المعطيات الإثنوغرافية للخروج بأفكار عامة عن الوحدة الاجتماعية المدروسة واستنباط أنسقة وأنماط سياسية ودينية وقراية. وأخيرا يأتي دور الأنثروبولوجيا التي تقوم بالربط بين الأنساق التي انتهت إليها الإثنولوجيا من مختلف المجتمعات مع محاولة إظهار خاصيات عامة للحياة الاجتماعية بواسطة التعميم والمقارنة. (بوبريك، 2014، صفحة 12)

5. نشأة البحوث الأنثروبولوجية في الجزائر:

الأنثروبولوجيا، مقارنة بفروع العلوم الاجتماعية والإنسانية، هي علم يشمل الدراسات الإنسانية بشكل عام وقد تتفرع إلى مجالات مختلفة. الأنثروبولوجيا الفيزيائية تهتم بدراسة الإنسان في طبيعته البيولوجية، بحيث

يهتم هذا الفرع بدراسة الخصائص الجسدية للإنسان والتغيرات العنصرية والإثنية وأصل الأجناس المختلفة وتغير الأقليات البشرية. يدرس الإنسان في نشأته المبكرة وأهم المراحل التي مر بها في تطوره عبر الزمن حتى أصبح إنساناً بالخصائص التي يعرف بها الآن. يدرس هذا الفرع أيضاً خصائص الإنسان الحالي ويقارنها بالخصائص الجسدية للإنسان من خلال الأدلة الأحفورية، وهو ما تدعمه تخصصات أخرى مثل علم الآثار وعلم التشريح وغيرها من العلوم.

اعتبر الفرنسيون الأوائل الذين قدموا سنة 1830م إلى الجزائر، ذلك بمثابة ذلك البلد المجهول، ومحل نقطة استفهام كبرى، ويعني ذلك أنه ليس لديهم أفكار حول عن المجتمع الجزائري في مختلف مجالات الحياة. لكن وبعد حركة الاستيطان الفرنسي وتعمير الجزائر تعرضت رؤية هؤلاء المستوطنون بحركة المقاومة الشعبية والرفض الشعبي، مما تولد عن ذلك ضرورة اكتشاف ومعرفة الشعب الجزائري وأعرافه ومعتقداته ودراسته من أجل الحكم والسيطرة عليه. وهنا ظهرت ضرورة استدعاء وتوسع البحوث الأنثروبولوجية لأغراض عسكرية ولتحقيق الأهداف الاستعمارية. وقد حاول "ألكسي دو طوكفيل" Alexis de Tocqueville الربط بين السياسة الاستعمارية والمعرفة حول الجزائر من خلال تحليل إحدى المراسلات الاستعمارية التي تطرقت إلى دراسة العادات والتقاليد والأعراف السائدة لدى الجزائريين، مضمونها: "لم تكن لدينا أية أفكار واضحة عن مختلف القوميات التي تسكن المنطقة وأعرافها وأنظمتها الاجتماعية، وقد كنا نجهل أبسط المعاني لأي كلمة من اللغة المستخدمة وحتى جغرافية البلد نفسه، موارده، مجاريه المائية، مدنه والخصائص المناخية". وقد ورد عن المصادر التاريخية أنه يمكن الوقوف على الكتابات أو الدراسات الأنثروبولوجية حول الجزائر التي عرفت عدة مراحل، وكانت بدايتها أي نشأة الدراسات في الفترة الاستعمارية التي تشكلت في البحوث الكولونيالية، وفي مجال الدراسات الأنثروبولوجية الأولى للمجتمع الجزائري نستطيع أن نميز ثلاث محاور أساسية من اعتمدت في بدايتها على التقارير العسكرية، ثم بعد ذلك على التقارير الإدارية، وأخيرا الدراسات الأكاديمية، علما أن عددا من الباحثين عملوا في هذه المؤسسات، فقد حاولت الدراسات جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والأدوات حول المجتمع وكذا التنظيم السياسي والعسكري والديني لما له من تكامل رغم ما يبدو من تعارض بين مختلف المتخصصين خاصة بين الأنثروبولوجي والإداري، وجاءت التحقيقات الميدانية المكثفة كما تذكر الدراسات أنه بين سنة 1844 و1867م سجلت حوالي (40 مجلدا في التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبية والآثار والقانون، وغيرها من الميادين وكان الدين والمعتقدات والرمز والممارسات مجالا للبحث

والتنقيب. (Lucas & Vatin, 1975, p. 104) وعندما نرجع إلى البحث عن المصادر الأولى لنشأة هذه الأبحاث الاستكشافية، فإننا نجد أنها تعود إلى المجهودات والأعمال التي قامت بها جماعة من الرحالة والتجار والمغامرين الذين ألفوا كثيرا من الوثائق والنصوص حول طبيعة الممالك البربرية وممالك إفريقيا الشمالية الموجودة في منطقة فاس بالمغرب ومنطقة الجزائر.

6. الإسهامات العلمية والثقافية لعلماء الصوفية:

شهدت معظم زوايا العلم وأقطاب التصوف في المناطق الجزائرية نشاطا علميا وفكريا تحت إشراف شيوخها ومؤسسيها على الحراك العلمي والثقافي عبر مختلف المراحل التاريخية، فقد كان لها ارتباطا وثيقا بالتدريس وعقد الحلقات الدينية والفكرية في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، فعرفت ظهور علماء كبار لهم الفضل في الإشعاع العلمي والثقافي داخل مؤسسة الزاوية، على الرغم من تعدد الطرق الصوفية والمناهج الروحية، فوجدت الطريقة القادرية خلال القرن الثاني عشر للميلاد، وهي إحدى أشهر الطرق وأقدمها في التاريخ الإسلامي، فانتشرت في مختلف مناطق ودول العالم الإسلامي، ساهم شيخها عبد القادر الجيلاني في تأسيسها وعمل على تدريس علوم الدين والفقه والأدب، وكان له اتصال بأمثاله من العلماء وشيوخ التصوف فامتدت من العراق إلى بلاد المغرب العربي، أما الطريقة الرحمانية التي ظهرت في القرن الثامن عشر ونشأت نسبة إلى مؤسسها الشيخ عبد الرحمان القستولي الجرجري الأزهري، ولد سنة 1720م ودرس في الجزائر العاصمة ثم استقر بالجامع الأزهر لفترة طويلة وساهم بنشر الطريقة، كما انتشرت بالمنطقة الشرقية للبلاد فعمل الشيخ محمد بن عزوز بنشر منهج الطريقة الرحمانية بمنطقة طولقة. وبرزت أيضا الطريقة الدرقاوية التي أسسها الشيخ بن العربي أحمد الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بـ: أبي درقاوي، (1150هـ/1737م) المولود بضواحي مراكش بالمغرب الأقصى ودرس على يد علي بن عبد الرحمان الفاسي آخر شيخ للسلسلة الصوفية التي تمتد إلى أبي مدين شعيب أشهر أولياء تلمسان ويرى البعض أنه مؤسس الطريقة الدرقاوية (Rinn, 1984, p. 232)، فقد أسس الدرقاوي الزاوية لنشر تعاليم الطريقة بفاس وانتشرت لتصل إلى الغرب الجزائري وامتدت إلى وهران وتلمسان ومستغانم وتيارت.

فقد أدى علماء الصوفية دورا هاما في نشر مناهج ومبادئ التصوف كما ساهموا في تعليم العلوم الدينية ودعم الحركة الفكرية في أواسط المجتمعات الإسلامية، وعرفت البلاد العربية تداول الشيوخ وعلماء الصوفية على نشر الدعوة وإدارة الزوايا وتوسيع نشاطها الديني والعلمي والفكري، فكان شيوخ الطرق الصوفية يمثلون

السلطة الروحية للمجتمع الجزائري، تلك الطرق الروحية وللصوفية اعتبرت محركا للمجتمع والسلطة الدينية من خلال رئاسة رجال الدين من المقدمين والشيوخ، وعمل هؤلاء على تقديم خدمات اجتماعية وتعليمية وإرشادية دينية، مما أدى ذلك إلى توطيد علاقتهم الروحية المتينة بالسكان عكس علاقة باقي الأفراد بالسلطة العثمانية في تلك الفترة، والتي غلب عليها التوتر فهم غرباء ولا تربطهم علاقة بالسكان سوى الولاء السياسي وأداء الضرائب وجباية الأموال. وقد شكلت فئة المثقفين في مدن بايلك الغرب ما يعرف بالأرستقراطية الدينية، والتي كانت تتكون من الأشراف والمرابطين والعلماء والقضاة، فحظيت هذه الفئة بمكانة سياسية واجتماعية منذ دخول العثمانيين للجزائر، إضافة إلى الدور الذي لعبته هذه الفئة من أجل فتح مدينة وهران. كما كانت هذه الفئة تسيّر المدارس والزوايا الدينية حيث كان لها دور ديني تعليمي بالدرجة الأولى وسياسي وإداري، فكان يتولى منها المناصب الإدارية المهمة في المجتمع مثل القضاء والإفتاء ونقابة الأشراف وغير ذلك من المناصب العليا. (بلغيث، 2018، صفحة 24).

فقد عرفت الجزائر مثل دول أخرى في البلاد العربية الإسلامية نشأة مؤسسات خاصة بالتصوف، وتوسع نطاق خدماتها مع تطور وتداول شيوخها على تنظيمها وتفعيلها في السياق الروحي والديني والعلمي، وقد عرفت أيضا حراكا علميا ارتبط أنشطتها سادتها المجالس العلمية والدينية والتوعوية، مما ساعد على تصدر مكانتها في السلطة أثناء الفترة الاستعمارية وامتد نشاطها الروحي إلى العمل السياسي. فاتسع النشاط العلماء من وبالتالي كان لذلك اثر من الناحية الاجتماعية والسياسة والعلمية، كما أسهم في نشر الأعراف الدينية والروحية بين المجموعات البشرية، إضافة إلى ربط علاقات بين الأقليات السكانية المختلفة، فأصبحت تمثل مجتمعا واحدا متماسكا تسوده علاقة الاندماج الروحي والأخوي بعيدا عن الصراعات والخصومات.

7. الخزانات العلمية لأعلام الصوفية في الجزائر ومكانتها:

1-7. مكتبة الشيخ الهامل:

سميت المكتبة باسم شيخها الهامل وهو الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي المولود بالحامدية بالقرب من حاسي بجيج في رمضان سنة 1823م، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في بلدته، ثم ارتحل إلى زوايا القبائل لينهل من منابع العلم فيها، فقصد زاوية علي الطمار في البليان، وبعدها زاوية الشيخ ابن أبي داود في زاوية ناحية أقبو حيث ارتوى من منابعها الغزيرة العذبة، وبعد إكمال دراسته بها رجع إلى بلده بعد غياب دام ثمانية سنوات، واستقر المقام بالشيخ في قرية الهامل التي بدأ بها التدريس سنة 1844م، في مسجد التوتة

وقد لقيت دروسه إقبالا متزايدا من أهل القرية والأماكن المجاورة وتولى التدريس بنفسه، وتضم هذه مكتبة مجموعة هامة من المخطوطات إذ تقدر بـ (5000) مجلدا في مختلف العلوم، إلا أن قسماً كبيراً من هذه المجموعة تعرض للسرقه والاتلاف والتدمير أثناء الغارات الاستعمارية على المنطقة و من خلال عمليات البحث عن الوثائق المتعلقة بالثورة، ولم يبق منها إلا (200) مجلداً مخطوطاً، ولها فهرس سجلت فيه مجموعتها المخطوطة، بالإضافة إلى بعض النصوص المتمثلة في المراسلات والوثائق المتعلقة بثورة الأمير عبد القادر والمقراني، والمراسلات التي كانت بين شيوخها من الصوفية وعلماء الزيتونة والقرويين والأزهر الشريف. (العقبي، د.ت، صفحة 255)

7-2. خزانة الشيخ أحمد بن بوزيد مولى القرقور بسريانة:

عرفت هذه الخزانة التابعة لمركز الزاوية واشتهرت بمكان إنشائها في العهد التركي بـ: (القرقور) بجبل مستاوة في ولاية باتنة، وعمل على العناية بها الشيخ الصوفي أحمد بن بوزيد، ونشر الدكتور عبد الكريم العوفي في العدد الثاني من مجلة الأدب الصادرة عن معهد اللغة والأدب العربي بجامعة قسنطينة سنة 1995م ملخصاً تضمن قائمة لأسماء مخطوطات الزاوية وأسماء مؤلفيها، وهي مرتبة حسب الموضوع في (15 صفحة)، من الحجم المتوسط، وقد ضمت القائمة ستة وستون مخطوطة في علوم التربية والنصيحة والتصوف والتفسير والتوحيد والعقائد والحديث والفلك وأصول الفقه واللغة (عوفي، 1995). كما اشتمل فهرس الخزانة على حياة للشيخ وسيرته المعروفة بمسار طويل وحافل بالنشاطات العلمية والاجتماعية أثناء الثورة وبعد الاستقلال، وتضمن جملة من الملاحظات حول المخطوطات المفهرسة والمنظمة من الناحية الفنية والعلمية، وألحق الفهرس بمجموعات من الوثائق وكتب مخطوطة وصور تحتفظ بها المكتبة، ثم قائمة بعناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين والنساخ والمصادر والمراجع والموضوعات. ومن أمثلتها نذكر مخطوطات في التربية والنصح وفي التصوف ما يلي:

- شرح قصيدة أنوار السائر في سرائر الأنوار للشريسي، لأحمد بن يوسف بن أحمد محمد بن يوسف الفاسي أبو العباس (ت 1021هـ/1612م)
- مخطوط للحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ/857م) بعنوان "النصائح الدينية والنفحات القدسية".
- مخطوط للأنطاكي بعنوان "وصية في تربية النفوس والزهد في الدنيا".

- مخطوط لمصطفى ابن كمال الدين بن علي البكري الشامي (ت 1162هـ/1749م) بعنوان "السير والسلوك إلى مالك"

- الطالع الأنيق فيشرح صفائح التحقيق لمؤلف مجهول. (عوفي، 1995)

7-3. مكتبة الشيخ علي بن عثمان الطولقي:

ولد الشيخ علي بن عثمان في شهر صفر سنة 1230هـ، الموافق لشهر سبتمبر 1814م وهو من علماء الصوفية الذين خدموا العلم بمعرفة وجد واجتهاد، له في التأليف وعدة مكاتبات ومراسلات كثيرة مخطوطة مع شيوخ وعلماء ممن عاصروهم ومع الشيخ مصطفى بن عزوز، ولم يكتف الشيخ بالنشاط العلمي بل قام بخدمة زاوية أبيه الشيخ علي بن عمر خدمة جلييلة ونافعة، ومن كتاباته ورسائله المخطوطة التي احتوت فوائد ومنافع دينية، والتي توضح مكانته العلمية والصوفية رسالة الشيخ مصطفى بن عزوز حيث تضمنت: "الحمد لله وحده المحب الأكمل سيدي وابن سيدي وعمدتي في ديني ودنياي خليفة شيخنا وولده وهو شيخنا، نورنا ونزهتنا شيخ البركة سيدنا علي بن عثمان بن مولاي علي بن عمر ...، جمعنا الله بكم أحسن حال، وإني وصلت إلى الفيض بالعافية، وأن البكاء ملازمي، فلا نبكي إلا عليكم، ولا نتفكر إلا فيكم، والله أنتم أعز إلي من أولادي، ومن إخوتي، ومن جميع الناس..." (الصيد، د.ت، صفحة 25)

وكان تأسيس مركز للتصوف على يد الشيخ علي بن عمر سنة 1780م، لتؤدي الزاوية وظيفتها الدينية والروحية والعلمية بشكل متميز نظرا لمكانتها وارتقاها بمنطقة طولقة وفي القطر الجزائري بشكل عام، فقد ارتبطت الطريقة الرحمانية التي كانت تسعى لنشر العلم الديني والتصوف في منطقة طولقة. وقد وجدت خزانة عتيقة في تلك الفترة ترجع إلى القرن 18م، ساهمت في دعم الوظيفة التعليمية داخل الزاوية وخدمة طلبة العلم، حيث توسع نشاطها التعليمي في عهد مؤسسها الشيخ علي بن عثمان الذي فتح الزاوية لطلاب العلم من مختلف أنحاء الجزائر. وتعتبر المكتبة العثمانية دعامة أساسية لتفعيل النشاط العلمي بمنطقة بسكرة المعروفة تاريخيا بمنطقة الزيبان. (عوفي، 2017)

وقد ساهمت في ارتقاء المستوى التعليمي في عهد شيخها علي بن عثمان الذي فتح الزاوية لطلاب العلم من مختلف أنحاء الجزائر، وقد أم هذه الزاوية جمع من العلماء من داخل الجزائر وخارجها، إذ تتبع الطريقة الرحمانية ولها علاقة بالعديد من الزوايا مثل زاوية الهامل، وزاوية سيدي سالم بالوادي، ومن آثار هذه الزاوية أن كثيرا من تلاميذها أصبحوا رجال جمعية العلماء المسلمين، وتتوفر الزاوية على مكتبة هامة تضم مخطوطات

نفيسة، فهي من أهم الخزانات في القطر الجزائري، وقد احتوت على مجموعة كبيرة من المخطوطات القيمة، ولها فهرس مطبوع بدار التنوير في الجزائر بعناية السفارة الأمريكية، ولم يذكر الناشر سنة نشره، وهو حديث النشر لعله بين سنتي (2007-2008)، يقع في 281 صفحة من الحجم المتوسط، ويحتوي على (500 مخطوطة)، وقد أشار المفهرس إلى أن المكتبة تحتفظ بحوالي (1500 مخطوطة) ويظهر أنه اختار عددا منها في الفهرس وترك الباقي (عوفي...، 1993، الصفحات 93-97)، ومن مؤلفات الشيخ علي بن عثمان وكتبه المخطوطة:

- تكملة رسالة خطاب لبعض المعترضين، بدأها الشيخ مصطفى بن عزوز
- رسالة في أن "حب الدنيا قاطع للسائر"
- النبذة اللطيفة فيما يلزم السائر في الطريقة المنيفة.
- الرد على من اكتفى بنسبة الطريقة دون أخذ العهد
- الرد على من اكتفى بالعهد ولم يواظب على الورد
- رسالة لبعض المحبين في ترغيبه للزيارة. (الصيد، د.ت، صفحة 43)

فقد اعتبرت جزءا من زاوية الشيخ بن عثمان، وأدت دورا رياديا في تعليم العلوم الدينية والشرعية وتحفيظ القرآن الكريم، كما كان لمؤسسيها ومنشئها دور كبير في تفعيل أنشطتها وخدماتها عبر مراحل التاريخ، وقد زاد ازدهارها بتوفير الكتب والمخطوطات النادرة في علوم الفقه والتفسير، والحديث واللغة العربية، حتى أصبحت المكتبة منبرا تعليميا يخدم جميع الطلبة والباحثين من مختلف مناطق الوطن، حيث كانت توفر المراجع وتنسخ المخطوطات وتدرس داخل الزاوية ما ساهم في تعزيز التعليم في المنطقة.

7-4. المكتبة العثمانية في عهد الشيخ عثمان الحاج:

الشيخ عثمان الحاج بن علي بن عثمان عالم جليل اهتم بجمع الكتب واقتناءها، ولد سنة 1285هـ/1868م بطولقة، فقد أسهم في تكوين مكتبة وأثرها بمختلف الوثائق والمخطوطات والنادر من الكتب المطبوعة، إذ وصفه صاحب "الدر المكنوز" بقوله: علامة الزمان العالم والمحقق والفاضل الكامل، المدقق الجامع بين المعقول والمنقول، أستاذنا سيدي الحاج". فهو يعتبر عالم وقطب مميز ضمن علماء التصوف في أقطار الجزائر، أخذ على عاتقه رئاسة الزاوية وتولها بعد وفاة أخيه بعد وفاة أخيه الشيخ عمر، وقد اجتهد في تعميرها وتجديد بنائها والتدريس فيها دون كلل وملل وما يميزه عن شيوخ الزاوية وأعلامها هو ارتباطه

بالكتب وجمع المخطوطات النادرة والنفيسة، وتولى الإشراف على الزاوية ورعايتها والحرص على شؤونها وتنظيمها، فقد جاء في كتاب الدر المكنوز "وعمر الزاوية في غاية العمران وبذل جهده في سبيل عمرائها، وغن كان من قبل وفاة أخيه وهو معمرها بدروسه النهارية تارة والليلية أخرى، وبالجملة فهو رجل معتز بالعلوم واقتناء الكتب غاية الاعتناء. ويعود إليه الفضل في نشأة وتطور المكتبة العثمانية، ويعرف بكثرة الاقتناء وشراء الكتب، فكان كلما تردد ودخل مكتبة يقتني منها كتابا أو أكثر، وكان يهرع إلى صاحب الكتب رغبة في الاقتناء، وقد روى في إحدى جلساته أنه باع بستانا له يتمكن من شراء مكتبة كانت قد عرضت للبيع، وقد ترك العديد من الرسائل والقصائد منها منظومة في التصوف في الطريقة الرحمانية تضم 800 بيت وهي توجد في ملف مخطوط. (الصيد، د.ت، الصفحات 49-50).

فقد كرس حياته منذ توليه شؤون الزاوية في خدمة العلم والمعرفة والتدريس وإنعاش الحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية من خلال خطبه ومواظمه ودروسه القيمة، التي لها مكانة مرموقة وسط المجتمع وبين شيوخ وعلماء الصوفية في الجزائر. وقد خلفه ولده الشيخ عبد الرحمان بن الحاج بن علي بن عثمان وتولى رئاسة الزاوية وقام بأحسن اهتمام فهو من العلماء العالمين الذين تركوا أثارا تدل على علمهم وسعة اطلاعهم وعلى معارفهم المتعددة الدينية وغيرها.

7-5. رصيد المكتبة العثمانية ومكانتها العلمية:

هذه المكتبة تلقى اهتماما من طرف عائلة الشيخ علي بن عثمان وكذا شيوخ الصوفية القائمين على تنظيمها ورعايتها لأنها تعد كنزا علميا ثمينًا، تم حفظها وصيانتها عبر الأجيال لتبقى مرجعا للباحثين والمهتمين بتاريخ الجزائر والعالم الإسلامي. وتضمنت المكتبة رصيда علميا هاما نظرا للحياة المعرفية السائدة بالمنطقة والاهتمامات العلمية، وارتباط بها علماء الجزائر بنقل المعرفة والتعلم، وتشمل مكتبته على عدة أنواع من المؤلفات في ميادين متعددة من العلوم الإسلامية نذكر منها: الفقه فقد احتوت كتبها في الفقه المالكي، حيث انتشر بالمنطقة في تلك الفترة، بالإضافة إلى الشروح والتفسيرات في العلوم الفقهية. أيضا كتبها في تفسير القرآن الكريم وكان ذلك من اهتمامات الشيخ، وكان له عدة كتابات في هذا الجانب، بالإضافة إلى الجانب اللغوي منها. وأيضًا نصيب هام من الكتب في العقيدة خاصة منها كتب الشيخ، الذي اجتهد في أمور التوحيد والصفات الإلهية، والتاريخ الإسلامي: واجتهد أيضا في مجال الشعر حيث أضاف إلى خزانته كتابا في الشعر وغير ذلك ومن أهم مصنفات المكتبة العثمانية نذكر ما يلي: (البوابة الجزائرية للمخطوطات، 2018)

- ﴿ التبصرة والتذكرة ﴾ لمؤلفه عبد الرحيم بن الحسين الأثري العراقي
- ﴿ عمدة الحكام ومرجع القضاة والأحكام ﴾ لمؤلفه حمد أمين المحي الحموي الدمشقي
- ﴿ تحفة الأريب ونزهة اللبيب ﴾ لمؤلفه أبو مدين بن احمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي
- ﴿ مستعذب الأخبار بأطيب الأخبار ﴾ لمؤلفه أبو مدين بن احمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي
- ﴿ مختصر الإمام ابن الحاجب الفرعي ﴾ لمؤلفه ابن الحاجب
- ﴿ منية المصلي وغنية المبتدي ﴾ لمؤلف مجهول
- ﴿ تحفة الحكام الإمام ابن عاصم ﴾ لمؤلفه سيدي التاودي بن سودة
- ﴿ الشامل في فقه الفروع ﴾، من تأليف ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عوض الزاهري المالكي
- ﴿ عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان ﴾ (نسخة أولى) لمؤلف مجهول.
- ﴿ عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان ﴾ (تقييد على المختصر الرشيد للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الأخضرى) نسخة ثانية، لمؤلفه عبد اللطيف بن محمد المرداسي الشهير بالمسبح.
- ﴿ شرح إيساغوجي في المنطق ﴾، من تأليف أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن محمد الأبدى البجائي المالكي
- ﴿ المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق ﴾ لمؤلفه أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني الداسي.
- ﴿ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ﴾ لمؤلفه أحمد بن محمد بن عياد الشافعي الشاذلي
- ﴿ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية ﴾ لمؤلفه أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التيجيني السرقسطي الفاسي عرف بابن البنا.
- ﴿ بغية السالك في أشرف المسالك ﴾ لمؤلفه محمد بن احمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم الأنصاري الساحلي أبي عبد الله محمد الساحلي من أهل القرن السابع.

8. الدور العلمي للمكتبات الشخصية في الإطار الأنثروبولوجي:

تقوم العديد من المؤسسات الخاصة ومختلف الفئات والأشخاص، بحفظ التراث العلمي الوثائقي وإتاحته للمستفيدين نظرا لقيمته العلمية والتاريخية والأنثروبولوجية خاصة في الآونة الأخيرة، كما تحفظ العديد من الخزانات الشخصية إلى جانب المكتبات الحكومية، في مختلف ولايات الوطن رصيذا هاما من التراث العلمي، إذ تحتوي على مصنفات علمية ودينية وأوراق من مراسلات ودواوين تمثل تراثا وثائقيا هاما يتطلب الاهتمام من التنسيق والتوضيب، وقد سارعت المؤسسات المعنية للعناية بهذا التراث العلمي والحضاري عن طريق المساعدة وتوفير مختلف الأساليب والآليات المناسبة لذلك، مثل مشاريع الرقمنة والأرشفة الإلكترونية، وإعادة إحياء التراث الوثائقي من جديد لكونه جزءا هاما من الرصيد والإنتاج الفكري الوطني، لذا توجب حفظه واستغلاله وإتاحته للمتخصصين والباحثين خاصة في علم الأنثروبولوجيا والتاريخ والعلوم الدينية واللغة وغيرها، فإن الجهات الخاصة المتمثلة في خزانات الأشخاص والأفراد المنتشرة في مختلف ولايات الوطن تقوم باقتناء المصادر وتعمل على تخزينها وإاحتها للباحثين، فهي لا تقل أهمية عن المكتبات العمومية أو الأكاديمية وغيرها من المؤسسات.

كما أن علماء الصوفية على مستوى القطر الجزائري يعملون على توفير المواد العلمية، التي يمكن للباحثين في العلوم المتخصصة الاطلاع ونقل المعارف، من خلال تلك المكتبات الخاصة التي تحفظ وترتب بطرق وهي منتشرة في الأقاليم الجزائرية إذ تحتوي على كنوز المعرفة الإنسانية في مختلف مجالات المعرفة، فتعتبر مرفقا هاما كالمكتبة العثمانية الرحمانية بولاية بسكرة، فقد استفاد منها العديد من الباحثين الجزائريين، ومكتبة زاوية الهامل في بوسعادة حيث توفر للباحثين حوالي خمسة آلاف مجلدا مخطوطا في كل الميادين والتخصصات، وهناك العديد من شيوخ الصوفية ممن لهم العناية بالكتب ومكتبات توفر ظروف البحث والاطلاع على أرصدها. فيمكن استخلاص الدور العلمي للمكتبات الشخصية فيما يلي:

- تحتاج البحوث المتخصصة مثل الأنثروبولوجيا إلى المصادر المرجعية، لأنها تتفرع لعدة ميادين كالدين واللغة والتاريخ والاقتصاد والسياسة، ويجد الباحث المتخصص في أغلب الأحيان ضالته من البحث في الأرصدة الوثائقية الخاصة مثل الخزانات الشخصية الملحقه بمراكز الصوفية.

- تؤدي مكتبات الأشخاص والأعلام دوراً في تحقيق التواصل مع موضوعات التخصص لدى الأفراد وكذلك الباحثين في مختلف التخصصات، كما هو الحال مع الأبحاث في مجالات الأنثروبولوجيا.

- تبرز الأهمية العلمية للمكتبات الشخصية تجاه أصحابها ومن حولهم من الأسرة والمستفيدين، من حيث الدعم المهني والتخصصي وإثراء الحياة العلمية والفكرية، كما تعكس مدى تقدم المجتمع وإنمائه، وتوضح اتجاهات وميول أفراد المجتمع نحو القراءة.
 - تبرز أهميتها أيضاً من خلال حقيقة أن مالكيها ومنشئها يحاولون بناء مجموعة متوازنة من المقتنيات والمنشورات في الموضوعات المتخصصة بأفضل طريقة ممكنة من أي مكتبة رسمية أخرى، وتحظى مجموعاتها بالصيانة والعناية أكثر من المجموعات المحفوظة المكتبات الأخرى التي تلحق بالمؤسسات العمومية، كما أنها محصنة ضد سوء الاستخدام الذي تتعرض له المجموعات في مختلف المكتبات.
 - إن المكتبة الشخصية لها مكانة كبيرة حيث أنها قد تنتقل في نهاية المطاف إلى المجتمع أو إلى المؤسسات العمومية، سواء من قبل صاحب المكتبة ومنشئها عن طريق التبرع بها لمكتبة أخرى أو لمؤسسة تعليمية أو أكاديمية أو للمجتمع، فتستفيد منها كافة شرائح المجتمع وخاصة الباحثين في مختلف الميادين، كما أن الورثة بدورهم يقومون بالإفادة أو التبرع بها لمؤسسة أو للمجتمع عامة، وقد نجد أيضاً أن بعض المكتبات العمومية أو الملحقه بقطاعات مختلفة قد نشأت من خلال إهداءات وتبرعات مكتبات الأشخاص.
 - المكتبات الشخصية أو الخاصة هي بمثابة روح الجسد، كما قال شيشرون: البيت بلا كتب كالجسد بلا روح، فلا يمكن الاستغناء عنها في النشاط العلمي والفكري والثقافي اليومي لدى الأفراد وكذا الباحثين.
- خاتمة:

عرفت المجتمعات العربية الإسلامية تنظيم الكتب والمكتبات عبر مختلف العصور والأزمنة، وقد تميزت بكثرة المكتبات نظراً لمكانتها في العملية التعليمية وفي البحث والقراءة، كما ساهم العديد من العلماء والأدباء والشيوخ بمؤلفاتهم ومكتباتهم في ترقية الحياة العلمية والفكرية. فكان لهذه المكتبات دور علمي وفكري واجتماعي، فإن الاهتمام بجمع الكتب والمكتبات والعناية بها في المجتمع الجزائري يعتبر من مظاهر الارتقاء بالمستوى العلمي، فكانت المكتبات وما تزال عاملاً أساسياً التطور العلوم في المجتمعات الغابرة، كما أن الخزانات الخاصة بعلماء وشيوخ الصوفية ساهمت في تفعيل التعليم وعقد الحلقات العلمية سابقاً ودعم حركة البحث العلمي حالياً، وتنمية المستوى التعليمي والفكري لطلبة العلم والباحثين في مختلف التخصصات كما هو الحال في البحوث الأنثروبولوجية، من خلال توفرها على المصادر المرجعية ونوادير الكتب التي جمعها

هؤلاء الشيوخ. وبالتالي يتطلب العناية بها وتسجيلها وتنظيمها لاستغلالها مستقبلا ولتعود بالفائدة على المستفيدين من المجتمع وكذا الباحثين ولدعم الحركة العلمية والتعليمية في أواسط المجتمع عامة.

إن المراكز الصوفية في الجزائر تزخر بالخزانات العلمية الخاصة بشيوخها وعلماءها كالشيخ "محمد بن بلقاسم الهاملي" والشيخ "علي بن عثمان" وغيرهم من الذين كرسوا حياتهم في سبيل نشر الدين والعلم ورعاية المكتبات بالمؤلفات ونفائس المخطوطات والكتب في جميع ميادين المعرفة، لتكون في الأخير دعامة يرتكز عليها الباحثون والقراء، إلى جانب الخدمات الأخرى التي تقدمها المراكز الصوفية مثل توفير ظروف البحث والإرشاد الديني والعلمي، وتوفير المواد العلمية وإتاحة فهارس الكتب والمخطوطات.

نشأت المكتبات الشخصية عن طريق الاقتناء وحركة التأليف التي عرفتها مراكز التصوف في الجزائر فاحتلت مكانة مهمة في المجتمع، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنها تؤدي دورا هاما إذا ما تعلق الأمر بإعداد البحوث والقراءة والتعلم، ومن خلال عرض النماذج لتلك المكتبات الخاصة بفقهائ الصوفية المنتشرة عبر التراب الوطني الجزائري، كما يمكن اعتبارها مركزا للإشعاع العلمي ووسيلة للتثقيف والتنوير الفكري للباحثين من مختلف مناطق الوطن إلى جانب المستفيدين من الخدمات القرائية، ولمختلف أطياف المجتمع الجزائري، فقد ساهمت بقدر كبير مثل باقي المكتبات التي تؤدي دورا في ظروف دينية علمية، في نشر التراث العلمي الوثائقي وبناء مجتمع متكامل معرفيا وثقافيا، كما ساهمت في دعم الباحثين من طلبة العلم بالكتب والمخطوطات خاصة في العلوم الدينية أو اللغة والنحو أو التاريخ والتراث الإسلامي...، كما لعبت دورا في محو الأمية والجهل مما زاد من أهميتها وشهرتها، فإذا كانت مثل هذه المكتبات والخزائن التي تحتوي على كنوز المعرفة الإنسانية عملت على إخماد الفكر وثقافة الأشخاص والمجتمعات ودعم البحوث، لا بد أن تلقى اليوم من أهلها والأطراف المعنية من السلطات، الدعم والتشجيع الكامل للاهتمام بجمع الكتب وتنظيمها والحفاظ على النواذر من مؤلفات علماء وشيوخ الجزائر الذين لهم الفضل في تكوين أجيال ومجتمعات متطورة.

قائمة المراجع:

❖ الكتب العربية:

1. رحال بوبريك. (2014). مدخل إلى الأنثروبولوجيا. بيروت- لبنان: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر.
2. سليمان الصبيد. (د.ت). تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية. الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.

3. صالح مؤيد العقبي. (د.ت). الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر: تاريخها ونشاطها. بيروت - لبنان: دار البصائر.
4. محمد أحمد الشامي. (1988). المعجم الموسوعي لمصطلحات علم المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ.
5. مصطفى عبد الرزاق باشا. (1933). مادة التصوف (المجلد 5). القاهرة: دائرة المعارف الإسلامية.

❖ الكتب الأجنبية:

6. Copans, Jean. (1971). *L'anthropologie sciences des sociétés primitives*. Paris: Editions E.P Denoel.
7. Lucas, Philippe & Vatin, Jean-Claude. (1975). *L Algérie des Anthropologues*. Paris: François Maspero.
8. Rinn, Louis. (1984). *Marabouts et Khouans*. Alger: librairie éditeur.

❖ الرسائل الجامعية:

9. عبد القادر بلغيث. (2017-2018). *الاسهامات العلمية لصوفية الغرب الجزائري*. (أطروحة دكتوراه)، الجزائر: جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ.

❖ المجالات:

10. عبد الكريم عوفي. (1993). مراكز تواجد المخطوطات في الجزائر. مجلة الحضارة الإسلامية، ع.01. وهران - الجزائر: المعهد العالي للتعليم العالي بالحضارة الإسلامية.
11. فاطمة رحمان. (ديسمبر 2006). المعنى الصوفي في قصيدة الياقوتة لسيد عبد القادر بن محمد المعروف بسيد الشيخ، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية. (ع.03).

❖ مواقع الإنترنت:

12. البوابة الجزائرية للمخطوطات. (2018). مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا، متاح على الرابط: <https://pamlab.univ-adrar.edu.dz/>, Consulté le 20/12/2024.
13. عبد الكريم عوفي. (جوان 1995). ملخص فهرس مخطوطات زاوية سيدي أحمد بن بوزيد مولى القرقور بسريانة في ولاية باتنة. مجلة الآداب. (مج2)، (ع1). متاح على الرابط: <https://asjp.cerist.dz/en/article/18210>, Consulté le 20/12/2024

مجلة أنثروبولوجية الأويان المجلد 21 العدد 02 2025/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

14. عبد الكريم عوفي. (2017). صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر. منشورات المجلس. متاح على

الرابط:

<https://ia903104.us.archive.org/35/items/Qutb.Al-Aimah/Sinaat.fahrassat.pdf>,
(Consulté le 20/12/2024).